ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

محمد خيضر
ودوره الدبلوماسي المغاربي

د. أكرم بوجمعة

أستاذ مساعد جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

باحث في فلسفة التاريخ -جامعة دوكوز أيلول إزمير – الجمهورية التركية

مُلَخّص

راهنت الحركة الثورية المغاربية على وجه العموم، والثورة الجزائرية منذ انطلاقها سنة ١٩٥٤م على وجه الخصوص، على عامل أساسي ورئيسي في نجاح ثورتها، وثق ذلك مثلاً في بيان أول نوفمبر، وهو ما يمكن أن نسميه بفلسفة الكفاح خلال السنوات الأولى من انطلاق الثورة، الذي اعتمد فيه وغلب عليه بالدرجة الأولى على الجانب العسكري والكفاح المسلح، لكن سرعان ما تغيرت فلسفة الكفاح لدى المجاهدين الجزائريين والمغاربة عمومًا من معنى أضيق وأوحد إلى معاني أوسع وأشمل لعدت وسائل وأساليب، وذلك بإدخال العديد من الوسائل والطرق كفاحية جديدة، التي من شأنها أن تساهم في حركة الاستقلال والحرية لشمال إفريقيا. ومن أهم هذه الوسائل التي وظفت في الكفاح المغاربي، وهو العمل الدبلوماسي الموزي للعمل المسلح، ولهذا لعبت الدبلوماسية المغاربية أثناء الثورات دورًا كبيرًا وبارزا أهمها، التعريف بالقضية المغاربية في المحافل الدولية، كما أنها أعطت نقلة نوعية لمسار الكفاح والنضال المغاربي ضد المستعمر. ومن أهم الشخصيات البارزة في الكفاح والنضال الجزائري قبل وأثناء الثورة، المجاهد محمد خيضر رحمه الله، لهذا رأينا من الإنصاف أن نشارك ببعض أعماله البطولية عمومًا، والدبلوماسية خصوصًا، وإبراز عمله النضالي المغاربي قبل وأثناء الثورة، ودوره الدبلوماسي كحلقة منيرة في سلسلة الأعمال الدبلوماسية الجزائرية والمغاربية، بهدف نجاح المشروع الاستقلالي الذي تعاهدوا عليه.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢٨ أبريل ٢٠١٩

تاريخ قبـول النشـر: ٢٧ يوليو ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

مكتب المغرب العربي؛ الكفاح المغاربي؛ الكفاح المسلح؛ الجامعة العربية؛ لسياسية والدبلوماسية

معرِّف الوثيقة الرقمي:

DOI 10.12816/0055844

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

أكرم بوجمعة. "محمد خيضر ودوره الدبلوماسي المغاربي".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد الخامس والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٩. ص ٦٢ – ٧٠.

مُقَدِّمَةُ

عانت البلدان المغاربية الثلاثة كلا من تونس، الجزائر، المغرب الأقصى ويلات الاستعمار الإمبريالي الأوروبي مع بداية القرن التاسع عشر، لكن هدا لم يثني من عزيمة خيرت شبابها وقوة أبطالها من الوقوف في وجه العدو المستعمر، بل عبر عن أشكال رفضه بالعديد من الوسائل، منها المقاومة الشعبية المسلحة، ثم المقاومة السياسية، ونتيجة التطورات العالمية الحاصلة مع مطلع القرن العشرين، ثم التغيرات العالمية الناتجة بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص أدت إلى ظهور أشكال جديدة من أشكال المقاومة السياسية، وهو العمل الدبلوماسي، ولهذا ظهرت العديد من الهياكل والجمعيات والمكاتب السياسية، استطاع فيها رجالات السياسة داخل شمال إفريقيا أن يكونوا فيها العديد من الهيئات السياسية والدبلوماسية بهدف مجابهة العدو بوسائله السياسية الحديثة، مثل تأسيس الجامعة العربية، مكتب المغرب العربي، للجنة تحرير المغرب العربي.

ونتيجة لتلك التطورات الحاصلة ظهرت العديد من الشخصيات السياسية والدبلوماسية داخل شمال أفريقيا، أثبتت وجودها المغاربي وكذلك العالمي ومن بين هذه الشخصيات السياسية المراد دراستها في هده المداخلة شخصية المجاهد محمد خيضر ودوره الدبلوماسي المغاربي، ومدى مساهمته في تفعيل العمل الدبلوماسي بشمال أفريقيا من اجل تحررها واستقلالها.

١-التعريف بمحمد خيضر

الاسم الكامل لمحمد خيضر هو محمد بن يوسف خيضر، ولد فسي ١٣ مارس ١٩١٢ بالجزائر العاصمة، من عائلة محافظة ومتواضعة تنحدر أصولها ببلدية طولقة ولاية بسكرة[١]، نشأ وتربى في كنف عائلة فقيرة، مما أجبره على ترك مقاعد الدراسة، التحاقه بالحياة العملية منذ صغره، فاشتغل عدت وظائف منها عامل في أحد مصانع التبغ، كما اشتغل أيضًا قابضًا بحافلات النقل التي تعمل على خط الرابط بين بسكرة والولايات الأخرى[٢]. أما فيما يخص التحاقه بالعمل السياسي، فقد انخرط في صفوف حزب الشعب سنة ١٩٣٨، ثم انتخب نائبًا في حركة انتصار للحريات الديموقراطية سنة ١٩٤٦، وعين في نفس السنة كعضو رئيس في اللجنة المركزية للحزب، وفي جوان ١٩٥١ قرر الذهاب إلى القاهرة على إثر اعتقاله من طرف السلطات الفرنسية بسبب قضية الهجوم على بريد وهران ١٩٥٠.

وبعد التحاق محمد خيضر بالقاهرة، تم تعيينه كعضو فعال داخل المكتب المغرب العربي، وشكل فيما بعد رفقة زملائه المناضلين بالوفد الخارجي باسم جبهة التحرير الوطني، بهدف الدفاع على القضية الجزائرية خصوصًا، والحركات التحررية المغاربية والعالمية عمومًا، إلى أن تم إلقاء القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية رفقة زملائه ، نتيجة حادثه اختطاف الطائرة في ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦، عين عضوا بالمجلس الوطني للثورة، وعضوًا شرفيًا للجنة التنسيق والتنفيذ، ظهر اسمه بصفة وزير دولة للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958م إلى 1962م، وبعد الاستقلال بخمسة سنوات واغتيل المناضل محمد خيضر في ظروف غامضة بالعاصمة الإسبانية" مدريد "وذلك يوم 04جانفي 1967م.[٣]

٢-تأسيس مكتب المغرب العربي

نتيجة الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، جعلت بعض زعماء الحركات الوطنية المغاربة وقادة حركة الاستقلالية يدركون عدم جدوى مسايرة الاستعمار بالطرق السلمية القديمة كلا على حِدَة دون تكثيف من العمل الوحدوي والنضال المغاربي المشترك والدعوة على ضرورة توحيد الجهود وتنسيق فيما بينهم[٤]. ولهذا الغرض انقسمت الأحزاب المغاربية الثلاثة حزب الاستقلال المغربي وحزب الشعب الجزائري وحزب الدستوري الحر الجديد التونسي على عقد مؤتمر عام لدراسة شؤون المغرب العربي والبحث على أنجع الطرق والوسائل لتنسيق الأعمال وتوحيد الصف وإظهار التضامن المغاربي بهدف خدمت القضية المغاربية وتحقيق الأهداف المنشودة كالاستقلال والحرية.[٥]

وعلى أثر هذا تم عقد مؤتمر المغرب العربي بين ١٥ و٢٤ فيفري ١٩٤٧ بالقاهرة وحضره ممثلو الحركات الوطنية بالمغرب العربي[٦]، وقد نجح الوطنيون في توحيد جهودهم وتمكنوا من إقناع شخصيات قومية وعربية وإسلامية[٧] بارزة بضرورة المشاركة في هذا النشاط السياسي ومحاولة حملها على اتخاذ موقف مشترك وجريء لتأييد القضية المغاربية وكان في طليعتهم عبد الرحمان عزام الأمين العام للجامعة العربية.

من أهم أعمال الوطنيين المغاربة هو إعادة بعثهم لمشروع مكتب المغرب العربي الذي انشأ في برلين في اليوم الثاني من انعقاد مؤتمر، عالج المؤتمرون خلاله العديد من الموضوعات أهمها:

١-الاستعمار الفرنسي والإسباني.
٢- تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب.
٣- مكتب المغرب العربي والجامعة العربية.
٤- عرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية.
٥- توحيد جهود المكاتب المغاربية في مصر[٨].

وخرج المؤتمرون بقرارات تؤكد على العمل المغاربي المشترك ضد الوجود الاستعماري فأقروا من خلال الموضوع الأول بطلان معاهدتي الحماية على تونس والمغرب الأقصى وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر وذلك بإعلان الاستقلال التام لبلدان

المغرب العربي وبجلاء جميع القوات الأجنبية عنها، واعتبروا أيام احتلال الأقطار المغاربية الثلاثة أيام حداد في جميع أقطار المغاربة (٥ جويلية، ١٢ ماي، ٣٠ مارس)، أما الموضوع الثاني فأقروا على ضرورة الاتفاق بين الأحزاب الوطنية المغاربية الثلاثة وذوبانها في جبهة واحدة، والعمل على إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في المغرب العربي بالاتفاق على غاية واحدة وهي الاستقلال والجلاء، وهذا بتكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل الكفاح المغاربي المشترك إلى جانب توحيد المنظمات العمالية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وتوجيهها توجيها قوميا، وعلى مستوى الموضوع الثالث أقر المؤتمرون مطالبة الجامعة العربية بإعلان عن بطلان الحماية على تونس والمغرب وعدم شرعية الاحتلال على الجزائر، وتأكيدًا لهم على ضرورة عرض القضية المغاربية على الهيئات الدولية لتحقيق الاستقلال التام وضرورة تعيين ممثلين للمغرب العربي بالجامعة العربية وكذا مطالبة الجامعة على نشر التفافة العربية في كامل بلدان المغرب العربي والعمل على حل مشكلة الطلاب المغاربة بالمشرق العربي بهدف إكمال لدراستهم.

وأقر الموضوع الرابع عرض قضية المغرب العربي على هيئة الأمم المتحدة والهيئات الدولية للمطالبة باستقلال أقطار المغرب العربي، ونجد أن الموضوع الخامس قد أقر فيه المؤتمرون ما يلي: "تكون رابطة الدفاع عن مراكش والوفد المراكشي في لجان الجامعة العربية ومكتب حزب الشعب الجزائري ومكتب الحزب الدستوري الحر الجديد يُسمى: "مكتب المغرب العربي".[٩] كما اتفق المؤتمرون في عرض القضايا المغاربية على هيئات الدولية وتم المصادقة في هذا الشأن على أهم قراراته:

- أن ترفع الهيئات السياسية المغاربية مذكرة إلى الأمم المتحدة تشرح فيها اعتداء فرنسا وإسبانيا على حقوق الشعب المغاربي وحرياته.
- إرسال مذكرات من الهيئات السياسية إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي وحقوق الإنسان تشرح فيها اعتداء فرنسا وإسبانيا على كيان المغرب العربي اقتصاديا واجتماعيا.[١٠]
- شكر الجامعة العربية على كل ما بذلته في سبيل المغرب العربي.

ومنه نلاحظ أن ممثلي الأحزاب المذكورة في الموضوع الخامس والمتعلق بوجود كيان يجمعهم ويوحد صفوفهم في نضال مغاربي مشترك رأوا بضرورة إعادة بعث تجربة مكتب المغرب العربي في برلين كما ذكرنا سابقا وكذلك أن جميع قرارات المؤتمر كانت متبوعة بتحاليل تاريخية وموضوعية لتبرير اتخاذ ذلك القرار لكنها لم تعطي لنا تصورًا واضحًا لوحدة المغرب العربي بعد الاستقلال.[١١] في الأخير نخلص إلى أن أهم القرارات التي خرج بها المؤتمر هو ميلاد مكتب المغرب العربي، الذي تأسس عقب هذا المؤتمر في ١٥ فيفري ١٩٤٧ منذ هذا التاريخ حل مكتب المغرب العربي محل الأحزاب الوطنية المغاربية الموجودة في القاهرة وهو ما سنتناوله في المطلب الموالي[١٢].

٣-محمد خيضر عضوًا داخل مكتب المغرب العربي

إن الأحداث التي شهدتها بلدان المغرب العربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية جعلت قادة الحركة الاستقلالية على يقين بعدم جدوى مسايرة الاستعمار بالطرق التقليدية القديمة خاصة بعد أحداث ٨ ماي ١٩٤٥ بالجزائر، والقمع الوحشي على قريتي زمردين وبني حسان بتونس في ٣٠ جوان ١٩٤٦، والأحداث القمعية التي شهدتها مدينة مكناس سنة ١٩٤٥ جعلتهم يفكرون بجدية في ضرورة تنسيق العمل بين الحركات الاستقلالية المغاربية لتحقيق مشروع استقلال أقطار المغرب العربي، وجسد هذا في مكتب المغرب العربي[١٣]، وهكذا نجد أن ممثلي الحركات الوطنية المغاربية بعد انتهائهم من أشغال المؤتمر شرعوا في تنفيذ قراراته المتعلقة بإنشاء مكتب المغرب العربي بحيث افتتح المكتب لتوحيد مكاتب الحركات المغاربية المتواجدة بالقاهرة وضم نظام المكتب على ثلاثة أقسام:

- القسم المراكشي: ضم كل من حزب الاستقلال والإصلاح المغربي.
- القسم التونسي: ضم الحزب الحر الدستوري الجديد.
- القسم الجزائري: ضم حركة انتصار الحريات الديمقراطية.

ويشير أحد مؤسسي هذا المكتب وهو عبد السلام الهاشمي الطود[١٤] بأن عملية تأسيس مكتب المغرب العربي تمت من قبل عبد المجيد بن جلون وعبد الكريم

غلاب من المغرب الأقصى، الرشيد إدريس وعز الدين عزوز من تونس ومحمد خيضر وأحمد بن بلة من الجزائر[١٥]. كان الهدف الأساسي من إنشاء مكتب المغرب العربي هو العمل على التنسيق بين الحركات الوطنية المغاربية على أرض الواقع، وتوحيد الخطط لتنسيق عملية الكفاح المغاربي المشترك في ظل نشاط سياسي أو العمل المسلح، لتحقيق المكتب للأهداف المرجوة على أسلوب الدعائي، ولهذا الغرض أنشأ العديد من الفروع بهدف التعريف بالقضية المغاربية وفضح الممارسات الاستعمارية داخل أقطار المغرب العربي.[١٦] فقد لخص الكاتب الفرنسي الاتجاه السياسي لمكتب المغرب العربي سنة نشأته التالية أنه مكتب:

١_ لا يقبل غير حل واحد: الاستقلال الكامل لدول المغرب العربي الثلاثة التي تختار نظمها السياسية بحرية.

٢- رفض الاتحاد الفرنسي رفضا تاما في أي شكل كان.

٣- عدم المفاوضة على أي اتحاد إلا بعد حصول على الاستقلال .

٤- ليس مكتب المغرب العربي شيوعيا ولا فاشستيا ولا اشتراكيًا إنه ديمقراطيًا.

٥- درس مكتب المغرب العربي الإصلاح الاجتماعي الذي يجب اتخاذه في المغرب العربي لكنه ترك تنفيذ هذا المشروع حتى الحصول على الاستقلال التام[١٧].

ونجد محمد خيضر قد شدد داخل المكتب المغرب العربي على قضايا أساسية وجوهرية التي من شأنها تؤكد التوجه الجديد دخل للحركات الوطنية المغاربية وهو مبدأ الاستقلال التام والدعوة إلى التحرر واسترداد الدولة الوطنية، وشكل هذا التوجه بعدا استراتيجيا في توجهات مكتب المغرب العربي وسعي على تطبيق هذه التوجهات على ارض الواقع، لهذا نجد أن المكتب قد رفع إلى الجامعة العربية بضرورة قبول ورفع المطالبة التي نص عليها في المؤتمر كما ذكرنا سابقا و أهمها في:

- إعلان بطلان الحماية على تونس والمغرب الأقصى.
- إعلان على هدم شرعية الاحتلال الفرنسي على الجزائر.
- تقرير استقلال الأقطار المغاربة الثلاثة.
- تعيين ممثلين عنها _ أي مكتب المغرب العربي_ في مجلس الجامعة.
- عرض القضية المغاربية على كل الهيئات الدولية.
- استعمال وسائل وقوة الجامعة العربية لمساعدة الأقطار المغاربية لتحقيق استقلالها.
- إرسال لجان تحقيق إلى أقطار المغرب العربي[١٨].

كما ساهم محمد خيضر في دعم الأمير عبد الكريم الخطابي في تأسيس للجنة تحرير المغرب العربي فيما بعد[١٩]، مما أتاح للمكتب ثم للجنة تحرير المغرب العربي فرصة لتداول فكرة الوحدة التي تحتم على ضرورة العمل والتنسيق المشترك بين الأقطار المغاربية الثلاث وبذلك أصبح يشكل الإطار المستقبلي والاستراتيجي لشعوب المنطقة[٢٠]. ومنه قد ساهم محمد خيضر في تفعيل المكتب المغرب العربي بالقاهرة كما استقطابه للعديد من القادة السياسيين والإعلاميين سواء المتواجدين بمصر أو الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم، وبهذا أصبح مكتب المغرب العربي محطة هامة لتمثيل بلدان المغرب العربي وقضاياه في القاهرة التي كانت مركز الإشعاع الفكري والسياسي والإعلامي خاصة بعد أن أصبحت مركز للنشاطات السياسية للبلدان المغاربية.

٤-محمد خيضر وتفعيل الكفاح المغاربي المشترك

كان الكفاح المغاربي مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين في تباين كبير في استراتيجيات الكفاح والنضال ألمغاربي المعتمد، هناك زعماء وطنيين يؤمنون بالتفاوض كوسيلة لتحقيق الاستقلال وهم جماعة بورقيبة وطرف آخر يؤمن بالكفاح المسلح كسبيل لتحقيق الهدف المنشود وهو حرية واستقلال الأقطار المغاربية وأمام هذا التباين في استراتيجية هذا النضال المغاربي المشترك داخل لجنة تحرير المغرب العربي بين مؤيد للعمل المسلح المباشر من جهة وبين مؤيد للعمل السياسي التفاوضي من جهة أخرى وفق مبدأ أو سياسة خذ وطالب سيلاً للكفاح [٢١].

أمام هذا التباين والجدال العقيم أكد الأمير عبد الكريم الخطابي رفضه للحلول السلمية السياسية وكذا المرحلية مع المستعمر بقوله: "آن الأوان لتعرف الحقيقة أننا أقوياء علينا أن ننهي هذه المأساة بنهضة شعارها الاتحاد"[٢٢]، ونتيجة هذه الاضطرابات والتباين داخل أحزاب الوطنية المغاربية أدى إلى ظهور طبقة شبانية تؤمن بالكفاح المسلح وأدركت فشل المساعي السياسية مع قوى الاستعمار، وكان

من بين الشباب الداعين لفكرة الكفاح المغاربي المشترك محمد خيضر، بحيث عمد على دعم الأمير عبد الكريم الخطابي في تفعيل الكفاح المسلح ميدانيا بين الأقطار المغاربية الثلاثة: تونس، المغرب والجزائر باعتباره هو الأسلوب الأنجع لتحقيق آمال المغاربة في الحرية والاستقلال من الهيمنة الاستعمارية لذلك باشرت لجنة تحرير المغرب العربي في عملها لتجسيد مشروعها الثوري الوحدوي عن طريق الاتصالات التمهيدية والتنسيق على العمل داخل الأقطار المغاربية الثلاثة.

في هذا السياق كلفت اللجنة مع بداية ١٩٥١ كل من الضباط الهاشمي الطود وحمادي العزيز وعبد الحميد وجدي بضرورة التوجه إلى بنغازي بليبيا من أجل إنجاز مهمتين: الأولى البحث عن إمكانية تأسيس قاعدة خلفية لبلاد المغرب العربي أثناء تحريرها، والمهمة الثانية أن تكون منطقة اتصال وعبور لكل من التونسيين والجزائريين والمغاربة وكذا كنقطة اتصال بينهم و بين الزعماء الوطنيين المتواجدين في المشرق العربي [٢٣]، وفي هذا الصدد يذكر عبد السلام الهاشمي الطود وصية للأمير عبد الكريم الخطابي التي يحذر فيها بقوله" حذاري أن تقول لحزب أنكم اتصلتم بحزب آخر لأنهم كلهم يكرهون بعضهم البعض [٢٤]" كما نجد أيضًا أن عبد الكريم الخطابي أثناء تبنيه لخطة حربية لتحرير أقطار المغرب العربي منذ ١٩٤٩[٢٥] قد قطع أشواطا في تجسيد مخططه فقد أرسل مبعوثيه إلى كل من تونس والجزائر والمغرب للاستعلام وبعدة سبل وإعداد الثورة وتنظيم جيوش تحرير المغرب العربي ووجد في المناضلين الجزائريين تغيير معين في قضيته خاصة بعد فشل مشروع الضابط عزالدين عزوز في إعداد الثورة بتونس وإعلان القطيعة مع الحبيب بورقيبة[٢٦]، فقد ازدادت هوة الخلاف مع قادة القوى المغاربية[٢٧]، وقد استبشر خيرًا من بعث حمادي العزيز إلى الجزائر إذ نقل إليه استعداد الحركة الثورية الجزائرية للإعلان عن الثورة والتنسيق معه من أجل وحدة المعركة المغاربية[٢٨]، فقد وافاه الهاشمي الطود ومحمد حمادي العزيز بتقارير مشجعة عن الوضعية في الجزائر[٢٩].

نستنتج من هذا كله إدراك الأمير عبد الكريم الخطابي بالوضع السياسي العام على مستوى أقطار المغرب العربي والاختلافات بين الأحزاب، ومدى الحساسيات السياسية بينهم من جهة، ومن جهة ثانية للعمل على تجسيد مخططاته على أرض الواقع كمرحلة تمهيدية لتجذير فكرة الكفاح المسلح داخل أقطار المغرب العربي على حساب العمل السياسي السلمي التفاوضي، وقد أوضح عبد الكريم الخطابي في أكثر من مناسبة أنه لا أمل في المفاوضات السياسية والحلول السلمية ولا حتى في الهيئات الدولية بقوله: "إن ما رأيناه أمامنا في ومجلس الأمن من قضايا مصر و فلسطين و الهند الصينية لا يلهمني أي ثقة أو بالأحرى يجعلني محترزا في ما يخص الأمل الذي يمكن أن نعلقه على لجوء إلى المنظمات التحكيم الدولي، إن مشاكلنا لن تحل إلا بأيدينا سوءا بواسطة السلم أو الحرب". وأمام إدراك الأمير بحتمية فشل الخيار الدبلوماسي وفقدان الأمل من مختلف المنظمات الدولية لتحقيق الاستقلال للأقطار المغاربية، وضع بذلك حدا أمام الخيار السياسي والزعامات التي تأييد هذا الطرح والعمل على تفعيل الكفاح المغاربي المشترك.[٣٠]

أرسل عبد الكريم الخطابي الهاشمي طود والحمادي العزيز إلى الجزائر بهدف إجراء اتصالات سرية بقيادات الحركة الوطنية في مدة لا تتعدى ٣ أشهر قام فيها الضابطان من إجراء الاتصالات الضرورية مكنتهم من الاطلاع على مواقف الأحزاب السياسية، وتوطيد الصلة النضالية والجهادية ببعض العناصر الوطنية في الجزائر وتزويد اللجنة بتقارير سياسية وعسكرية ترفع إلى عبد الكريم الخطابي مباشرة[٣١].

وقابل في الجزائر عبد الحميد مهري بناءً على توصيات الطاهر قيقة [٣٢]، يؤكد عبد الحميد مهري بقوله: "جاء ذات يوم شابان وطلبا رؤيتي ... إنهما الضابطان عبد السلام الطود والحمادي العزيز جاءا من طرف الطاهر قيقة، مناضل مؤمن بقضية وحدة المغرب العربي ...، فاتحاني الإخوان بأنهما يحملان رسالة هامة من عبد الكريم الخطابي تحث على الشروع في الكفاح المسلح في كامل أقطار المغرب العربي والاتصال بالعناصر القادرة على الاضطلاع بهذه المهمة [٣٣]، ويضيف عبد الحميد مهري قائلاً: "أنهم طلبوا منه الاتصال بالأخ أحمد مزغنة فقال لهم عبد الحميد مهري " إذ كانت رغبتكم هي الاتصال بأحمد مزغنة أو غيره فأنا مستعد لأوصلكم إليه وأما إذا أردتم البحث في التحضير للكفاح المسلح فعندي اقتراح أخر فوافقا... وعندما ذهبت إلى الأخ بوضياف وأطلعته على القضية وافق على الاتصال بالأخوين...

وابلغنا الإخوة إننا مستعدون وسنكون في الموعد في حالة تحرك تونس والمغرب" [٣٤].

بعد مشاورات طويلة قدم أعضاء مكتب لحركة انتصار من أجل الحريات شروط تمثلت في ثلاث نقاط وهي:

١ – مشاركتنا في القيادة السياسية.

٢- مشاركتنا في القيادة العسكرية.

٣- يمثلنا في القاهرة محمد خيضر وحسين ايت احمد وفرحي السعيد.[٣٥]

يذكر محمد بوضياف في أحد حواراته مع جريدة الشعب يقول: "نظم اتصالات بين محمد بوضياف وبين الضابطين المغربيين وبذلك قمنا باستدعاء ديدوش مراد ليحضر اللقاء مع الضابطين القادمين من المغرب، وبحث عملية التنسيق للكفاح المسلح على مستوى المغرب العربي"[٣٦]. ويؤكد عبد الحميد المهري ومحمد بوضياف أنه كان من المفروض حسب خطة هذه المجموعة أن يبدأ الكفاح المسلح في خريف ١٩٥٣ ابتداء من تونس والمغرب ثم تلتحق بهم غير أن انفجار مستودع صنع الذخيرة في الأوراس أجل الثورة إلى غاية نوفمبر ١٩٥٤،[٣٧] ويؤكد الضابطان المغربيان أنهما وجدا مساندة كبيرة ودعما كبيرا من طرف الثوار الجزائريين العربي بن مهيدي، ديدوش مراد، محمد بوضياف، عبد الحميد مهري وأحمد بن بلة في مغربة الحرب داخل المغرب العربي" [٣٨].

كما كانت هناك العديد من الاتصالات بين محمد خيضر ممثل الوفد الجزائري بالقاهرة ولجنة تحرير المغرب العربي في بداية ١٩٥٣ وكانت تهدف إلى توحيد جهود الأحزاب المغاربية وتنسيق المواقف لبلورة العمل المشترك يستجيب لتطورات المرحلة الحاسمة [٣٩]، كما التقى أيضا محمد خيضر بالأمير محمد عبد الكريم الخطابي وشقيقه امحمد واتفقوا على دراسة خطة موحدة لمباشرة الثورة في كامل المغرب العربي وفي شهر ماي ١٩٥٤ ووضعت خطة عمل مفصلة مطابقة لتصور الثوار الجزائريين والضباط المغاربة المساعدين للخطابي وأساسها مباشرة العمل الثوري في إطاره المحدد بهدف تحقيق استقلال بلدان المغرب العربي[٤٠].

٥-محمد خيضر ودوره في أحداث أكتوبر ١٩٥٥

نتيجة مجهودات قادة للثورة الجزائرية ودعوات الخطابي وحماس المناضلين المغاربة لإيديولوجيات الخطابي أسر المغرب على ضرورة المضي في الكفاح المسلح والتنسيق العمل الثوري مع الثوار الجزائريين، وتكليف كلا من محمد خيضر وابن بلة أن ينهض بهذه المهمة محمد حمادي بالإشراف العام على جيش تحرير الجزائري وتوحيد الجهود مع جيش التحرير المغربي[٤١]، لكن تأخر ظهور هذا الجيش إلى النصف الثاني من سنة ١٩٥٥ تحت أنظار الأمير وتوجيهاته، فاغلب الذين شاركوا فيه هم من فصائل حرب الريف خلال العشرينيات من قرن العشرين[٤٢]، وفي هذا السياق ونتيجة لحوادث أكتوبر ١٩٥٥ علقت " نيوز ويك" الأمريكية: "هاجم أبناء وأحفاد الأمير عبد الكريم المحاربون... وهؤلاء المحاربون أحسن تسليحا من المقاتلين السابقين الذين حاربوا فرنسا والإسبان بين ١٩٢٠-١٩٢٦" [٤٣].

وقد كان محمد خيضر يهدف إلى الاستفادة من البعد المغاربي لكفاح الخطابي ولم ترمي إلى استغلال شخصه بقدر ما هدفت إلى خدمة استراتيجية توحيد المعركة في المغرب العربي، وساندها الخطابي في بذلك بكل قوة مادية ومعنوية، كما اجتهد زعماء الثورة الجزائرية أمثال بن بلة، بوضياف في كسب تأييد ودعم الأحزاب الوطنية المغاربية، وفرت المقاومة المسلحة لتدخل في معركة موحدة تخدم أهداف جزائرية وتعمل على تحقيق الدعم السياسي والعسكري لمشروع الكفاح المغاربي المشترك [٤٤]، ونجد أن الخطابي قد حمل اغلب الأحزاب السياسية التي تجاوزت مشروع وحد الكفاح ومغربة الحرب حملة عدائية شديدة ضدهم، ودعى عناصر المقاومة إلى مواصلة الكفاح وتوحيدها مع القوات الجزائرية، ونجد أن محمد خيضر قد عبر عن هذا عندما وصف علاقة الخطابي بالثورة الجزائرية قائلا للقيادة في الداخل: "إن الخطابي كما تعلوا اتخذ موقفا عدائيا علنيا من جميع الأحزاب السياسية وعلى الخصوص حزب الاستقلال ... وفيما يخص الجزائر كان يطبع موقفه التعاطفي دائماً، لذلك كان لنا معه في كل وقت علاقات جيدة جدًا ما عدى خلال الأزمة التي اجتازها هنا (بالقاهرة)، وتسببت فيها مناورات مزغنة والشاذلي"[٤٥].

هكذا نلمس مدى دعم الخطابي ومساندته للثورة الجزائرية ومباركتها، وهذا راجع للتوافق رغبات ومبادئ الخطابي مع مطامح القيادة الثورية في الجزائر وذلك بتوحيد الكفاح المغاربي المشترك والحقيقة لم يكن الأمير عبد الكريم الخطابي على علم واسع بخبايا الثورة التحريرية الجزائرية من خلافات وتباين الحاصل بين جبهة التحرير الوطني وجمعية علماء المسلمين من جهة، وبين الفصائل المصالية أو الحركة المصالية المناوئة من جهة الثانية وعلاقته الحميمة مع الشيخ البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتلاني، واستغلال العناصر المصالية أمثال شاذلي مكي ومزغنة صداقتهما معه لضرب جبهة التحرير الوطني في الصميم، وهذا جعل من ممثل الوفد الخارجي والجبهة وبعض التشكيلات السياسية على تشكيل جبهة جزائرية موحدة بدعم من الحكومة المصرية والأمير عبد الكريم الخطابي بشرط اعتراف أولا بجبهة تحرير الوطني هي الممثل الوحيد، ثانيا إيمان بالعمل المسلح كوسيلة للقضاء على المستعمر ووحدة الكفاح المغاربي المشترك، وها كذا تم تجاوز الخلافات مع الشيخ البشير الإبراهيمي وممثلي الحركة المصالية، وصادق الجميع على ميثاق الجبهة التحرير الجزائرية يوم ١٨ فيفري ١٩٥٥[٤٦]، ونشر الشيخ فضيل الورتلاني وثيقة الاتفاق عام ١٩٥٦، ويوضح فيها أول من وقعها هو الأمير عبد الكريم الخطابي وشقيقه امحمد، والشيخ البشير الإبراهيمي، وأبو فضيل الورتلاني، وأحمد بيوض، والشاذلي مكي، وذكر أن الوثيقة تبقى مفتوحة ليوقعها بقية المسؤولين الجزائريين [٤٧].

ونتيجة التحالف الحاصل في أكتوبر 1900 بين جبهة التحرير الوطني وحركة المقاومة المغربية، جعلت من الأمير الخطابي يشك ويقلل قيمتها ويدخل في صراع مع قيادة الثورة الجزائرية، وعلى ضوء مواقف الخطابي تساءل عبان رمضان مستغربًا: "كيف يجوز للأمير عبد الكريم أن يكون ضدنا؟" [٤٨]، وأجاب محمد خيضر المتابع لملف العلاقة مع الخطابي عن استغرابه موضحا الكثير من النقاط المسببة لهذا الفتور لمدة ثلاثة أشهر، مرجعًا ذلك بأن لانخداع الخطابي بمبعوثي مصالي، وحساسية العلاقة معه في ظل تحالف الجبهة تحرير الوطني مع علال الفاسي، وأوضح خيضر حقيقتين هما: أن الخطابي لا يرضى بدور متواضع ويريد منافسة حزب الاستقلال، وان أعوانه المحيطين به لا يوثق بهم، وأكد خيضر أن الخطابي يقف إلى جانب الثورة الجزائرية لكن بحسن نيته وتعامله مع الجميع انخدع بدسائس أحمد مزغنة وشاذلي مكي اللذان صورا له أن مصالي الحاج هو زعيم الثورة وهو الذي أعلن هذه الثورة و يراقبها، وأكدا له بأن مصالي الحاج كلفهما بالسهر شخصيًا على مصالح الجزائر، ولم اتضحت للخطابي انخداعه بهما أفصح بكل صراحة عن خطئه ودعمه لجبهة التحرير الوطنية " [٤٩].

وخلص محمد خيضر إلى أن الخطابي يمثل طرفًا مهمًا في العلاقات المغاربية وورقة رابحة يجب استعمالها بشكل جيد في الوقت المناسب ومن خلال هذه التقارير نلخص، أن القيادة الخارجية كانت تعمل على توحيد وتنسيق العمل والكفاح المغاربي المشترك بمهنية واحتراف ورزانة بين علاقتهما مع الخطابي ومع الأطراف المغاربية الأخرى بهدف دعم قضيتها، وانتبهت إلى حقيقة الأطراف المدسوسة في المحيطة بالخطابي، لهذا عملت الثورة الجزائرية من الحفاظ على أسرارها ومخططاتها مع الأمير عبد الكريم الخطابي[٥٠].

خَاتِمَةٌ

وهكذا يمكن القول أن، محمد خيضر قد كان له الدور الريادي في الدبلوماسية الجزائرية على وجه الخصوص، وبلدان المغرب العربي على وجه العموم، وذلك بتفعيله ودعمه للقضايا المغاربية داخل المكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي، كونه عضوًا رئيس وفعّال بهما في إطار ممثل الوفد الخارجي الجزائري، كما ساهم محمد خيضر بفضل حنكته الدبلوماسية في تفعيل الكفاح المغاربي المشترك، وذلك بدعمه للخيار المسلح داخل جيش التحرير المغرب العربي.

الهَوامِشُ:

(١) لزهر بديدة: **رجال من ذاكرة**، ج٣، وزارة الثقافة، الجزائر، ص ٢٢.

(٢) محمد الشريف ولد الحسين: **من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال ١٨٣٠- ١٩٦٢**، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٥٨ .

(٣) محمد عباس :**رواد الوطنية، شهادات شخصية وطنية**، دار هومة للنشر والتوزيع، العاصمة، الجزائر، 2009 م، ص353 ، للاطلاع أكثر يُنظر: خيشان محمد: **مهام الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة ١٩٤٧ -١٩٥٧**، رسالة ماجستير تخصص حديث ومعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، ٢٠٠٢، ص ٣٩. - عبد الله مقلاتي: **العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية ١٩٥٤- ١٩٦٢**، رسالة دكتوراه تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، قسم التاريخ وعلم الآثار، ٢٠٠٨، ص ٦٠.

Benjamin store :**Dictionnaire Biographique de Militants Nationalistes Algériens 1926-1954,** Ed l'harmattan ,Paris , 1985 , p287,288 .

(٤) معمر العايب: **مؤتمر طنجة المغاربي، دراسة تحليلية تقييميه**، ط١، دار الحكمة للنشر، الجزائر، ٢٠١٠، ص ٤٨.

(٥) فضيل الورتلاني: **الجزائر الثائرة**، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٥٦، ص ٢٨٦.

(٦) حضره ممثلون عن رابطة الدفاع عن مراكش، وعن حزب الشعب الجزائري والحزب الحر الدستوري الجديد وهم: عبد الكريم ثابت، عبد الكريم غلاب، إدريس السنوسي، عبد المجيد جلون، محمد بن عبد الله، المهدي بن صابر، احمد الوزاني، احمد المليح، محمد الفاسي، أمحمد بن عبود، الطيب سليم، الهادي السعيدي، يوسف الرويسي، حسن التركي، الحبيب ثامر، علاله العويني، خليفة حواس، الشاذلي مكي، الرشيد إدريس، الطاهر بن الصالح، احمد المدني، الأمين المدني، الطيب بن احمد، وقد كان كلا من أمحمد بن عبود ومحمد الفاسي الحفناوي عضوين رسميين بالجامعة العربية يمثلان المنطقة الشمالية بالمغرب الأقصى، ينظر: الرشيد إدريس: **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، دار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١ ، ص ٧١.

(٧) محمد بلقاسم: **اتجاه الوحدوي في المغرب العربي (١٩١٠ - ١٩٥٤)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ١٩٩٤، ص ٣٦٨.

(٨) يوسف الرويسي: **نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق**، الحلقة الرابعة، دور مكتب المغرب العربي في دمشق في انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد ١٥ / ١٦، جويلية ١٩٧٩، تونس، ص ١٠٦.

(٩) الرشيد إدريس: **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، **المصدر السابق**، ص١٨.

(١٠) علال الفاسي: **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي**، ط١، عبد السلام جسوس، طنجة، المغرب، ص ٣٧٨.

(١١) محمد بلقاسم: **وحدة مغرب العربي**، **المرجع السابق**، ص٦٤.

(١٢) معمر العايب: **المرجع السابق**، ص ٥٠.

(١٣) معمر العايب: **المرجع نفسه**، ص ٤٨، ٤٩.

(١٤) عبد السلام الهاشمي الطود من مواليد الثلاثينات بالقصر الكبير بالمغرب، درس بالقاهرة عام ١٩٤٥، وتطوع في الحرب الفلسطينية ١٩٤٨، وكان ضمن أول بعثة أرسلها الأمير عيد الكريم الخطابي إلى بغداد، تولى تدريب الدفعة الأولى لجنود جيش تحرير المغرب العربي بالقاهرة، وأرسل رفقة حمادي العزيز إلى بلدان المغرب العربي بهدف تنسيق الكفاح المغاربي المشترك عام ١٩٥٢.

(١٥) عبد السلام الهاشمي الطود: **جذور التنسيق، شهادة مؤسس**، أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، ١١ / ١٢ ماي ٢٠٠٧، ص٥٥.

(١٦) معمر العايب: **المرجع السابق**، ص ٥٠.

(١٧) جاك جاني: " **مؤتمر المغرب العربي سنة ١٩٤٧ وبداية مكتب المغرب العربي في القاهرة: عملية ابن عبد الكريم** "، تعريب احمد بن عبود، المجلة التاريخية المغاربية، عدد ٢٥ / ٢٦، جوان ١٩٨٢، تونس، ص١١.

(١٨) الرشيد إدريس: **ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة**، المصدر السابق، ص ٦٣ – ١٠٧.

(١٩) معمر العايب: **المرجع السابق**، ص ٥٠.

(٢٠) علال الفاسي: **الحركات الاستقلالية**، **المصدر السابق**، ص ٤٠٧.

(٢١) محمد حربي: **الوطنيون الجزائريون والمغرب العربي ١٩٢٨ – ١٩٥٤**، وحدة المغرب العربي، ط١، مركز الدراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧، ص ٧٦.

(٢٢) إدريس الرشيد: **ذكريات من المكتب المغرب العربي بالقاهرة**، **المصدر السابق**، ص ١٦٠.

(٢٣) زكي مبارك: **محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب**، ط١، منشورات فيديبرانت، الرباط، المغرب، ٢٠٠٣، ص ٧٠.

(٢٤) عبد السلام الهاشمي الطود: **المصدر السابق**، ص ١٨ -٢٠.

(٢٥) محمد أمزيان: **محمد عبد الكريم الخطابي أراء ومواقف ١٩٢٦ -١٩٦٣**، ط١، منشورات "اختلاف" مطبعة كوثر، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢، ص٢٢٥ – ٢٣٦.

(26) AZZEDINE AZOUZ:**L'HISTOIRE NE PRADONNE PAS ,TUNISIE , 1932 – 1969 .** L'HARMATTAN , PARIS , 1981 .P 123 .

(٢٧) عبد الجليل التميمي: **"تحرير المغرب العربي: تقاطع قناعات ومبادئ كل من الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والزعيم الحبيب بورقيبة"**، مداخلة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصمود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي، ٢٠٠٥ ، ص ١١٨ _ ١٢١ .

(٢٨) عبد الحميد مهري: **"أحداث مهدت لفاتح نوفمبر"، مجلة الأصالة**، السنة ٣، ع ٢٢، أكتوبر – ديسمبر ١٩٧٤، الجزائر، ص ١٦، ١٧.

(٢٩) محمد حمادي العزيز: **جيوش تحرير المغرب العربي**، هكذا كانت قصة في البداية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠٠٤، ص ١٢٥.

(٣٠) زكي مبارك: **محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي**، المرجع السابق، ص ٧٧، ٧٨.

(٣١) زكي مبارك: **محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي**، **المرجع السابق**، ص ٧٨.

(٣٢) الطاهر قيقة هو كاتب ومثقف ومناضل تونسي، عضو في حزب الشعب والحزب الدستوري، من دعاة وحدة المغرب العربي.

(٣٣) عبد الحميد مهري: **مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلح**، جيوش تحرير المغاربي ١٩٤٨ – ١٩٥٦، مؤسسة محمد بوضياف، جزائر، ٢٠٠١، ص٦٢.

(٣٤) محمد حمادي العزيز: **المصدر السابق**، ص٣١.

(٣٥) محمد حمادي العزيز: **المصدر نفسه**، ص ٥٧.

(٣٦) معمر العايب: **المرجع السابق**، ص ٥٨، ٥٩.

(٣٧) معمر العايب: **المرجع السابق**، ص ٥٩.

(٣٨) الهاشمي الطود عبد السلام: **المصدر السابق**، ص ٢٠.

(٣٩) فتحي الديب: **جمال عبد الناصر والثورة الجزائر**، ط٣، دار المستقبل العربي، القاهرة، مصر، ١٩٨٤، ص ٢٤ – ٢٨.

(٤٠) عبد الله مقلاتي: **" عبد الكريم الخطابي والثورة الجزائرية، تجسيد مبادئ الكفاح المشترك لتحرير المغرب العربي "، المجلة التاريخية المغاربية العهد الحديث والمعاصر**، سنوية، مؤسسة التميمي، عدد ١٣٢، تونس، جويلية ٢٠٠٨، ص ٣٤.

(٤١) محمد الحمادي العزيز: **المصدر السابق**، ص ١٩٩ – ٢١٧.

(٤٢) محمد بن عمر العزوزي: **حقائق تاريخية عن تأسيس جيش التحرير بقبيلة أجزناية مع نبذة تاريخية من تاريخ القبيلة**، ط١، مطبعة ناداكوم، الرباط، المغرب، ٢٠٠٢، ص ٣٧ – ٤٠.

(٤٣) محمد أمزيان: **محمد عبد الكريم الخطابي آراء ومواقف**، **المرجع السابق**، ص ١٧٨.

(٤٤) بشير القاضي: "**المسيرون المغاربة، الاتفاق والاختلاف**"، ملتقى حول: **جيش التحرير المغاربي ١٩٤٨ – ١٩٥٠**، نظمته مؤسسة محمد بوضياف، تحت إشراف دحو، جربال الجزائر، ١١ – ١٢ ماي ٢٠٠١، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٠٤، ص١٧٠.

(٤٥) رسالة محمد خيضر إلى عبان رمضان بتاريخ ١٥ ماي ١٩٦٥، يُنظر:

BELHOCINE MABROK: **Courier – Alger – le Caire 1954 – 1956 et le congrès de la soumam dans la révolution** , Casbah , Alger , 2000 . P 135 .

(٤٦) فتحي الديب: **المصدر السابق**، ص ٧٦ – ٧٨.

(٤٧) الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، **المصدر السابق**، ص ٢١٩.

(٤٨) انظر رسالة عبان رمضان للوفد الخارجي للجبهة، بتاريخ ٠٨ بتاريخ ١٩٥٥، يُنظر:

BELHOCINE MABROK:**op , cit** ; p 96 .

(٤٩) انظر رسالة خيضر إلى عبان رمضان، يُنظر:

BELHOCINE MABROK:**ibid** , p 96 .

(٥٠) للاطلاع أكثر عن حادثة اختراق الشيخ العيادي لمحيط الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، يُنظر: عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص ١٢١ – ١٢٥.